الوازع الديني وفن التعامل مع الآخر: رعاية المسن نموذجا

Elderly care model:Religious faith and the art of dealing with others

د.بن شدة مليكة* [1]، د.محرزي مليكة [2]

تاريخ الاستلام: 2021/08/07 تاريخ القبول: 2021/11/20 تاريخ النشر: 2021/12/31

ملخص: قد يختلف تعامل الابناء مع ابائهم المسنين من عائلة الى اخرى، فمنهم من يوليهم رعاية جسدية ونفسية قصوى، ومنهم من يهملهم نتيجة اهتماماتهم وانشغالاتهم ومشاريعهم ... جاهلين ان الله قد يعاقبهم في الدنيا قبل الاخرة بان يبتليهم بأولاد عاقين قد يسقونهم من نفس الكاس التي سقوا بها اباءهم سابقا لعدة اسباب، ولعل السبب الرئيسي في هذا التباين في التعامل هو وجود او غياب الوازع الديني والاخلاقي عند الأبناء، وعليه هدفت هذه المداخلة إلى توضيح اهمية الوازع الديني في حياة الفرد والاسرة والمجتمع من اجل بلورة مفهوم الرعاية كفن من فنون التعامل مع المسن.

كلمات مفتاحية: الوازع الديني، فن التعامل، رعاية المسن.

Abstract: The interaction of children with their elderly fathers may differ from one family to another, for some of them give them extreme physical and psychological care, and some of them neglect them as a result of their interests, preoccupations and projects... ignorant that God may punish them in this world before the hereafter by afflicting them with disobedient children who may water them from the same cup that they watered Their parents had previously for several reasons, and perhaps the main reason for this discrepancy in dealing is the presence or absence of religious and moral scruples among the children. Accordingly, this intervention aimed to clarify the importance of religious motives in the life of the individual, family and society in order to crystallize the concept of care as an art of dealing with the elderly

Keywords: religious conviction, art of dealing, caring for the elderly.

* قسم علم النفس والأرطوفونيا، جامعة وهران2، benchedda.malika@univ-oran2.dz

[2] قسم علم النفس والأرطوفونيا، جامعة وهران2، meherzi.malika@univ-oran2.dz

مقدمة:

من المهم جدا ان يتحلى كل واحد منا بوازع ديني باعتباره الموجه الذاتي الداخلي المبني على اعتماد راسخ في الدين الذي يؤمن به الفرد فيوجه الى حسن الاعمال وترك القبيح منها كما انه يقظة الضمير وصحوة النفس، فهو الدعامة الاولى في حفظ المجتمع ومعالجته، بحيث صلاح المجتمع او فساده مرتبط بصلاح الوازع الديني او فساده لأنه كلما ازداد قوة في افئدة المسلمين تحقق اصلاح المجتمع وافراده، والوازع الديني الذي هيمن على القلوب كاف لتسير الامة في طريق مستقيم لتحقيق احكام الدين، كما ان قوة الوازع الديني والتصور الايماني لدى الفرد يكفل له حياة مستقرة وهانئة خالية من اي شوائب، ولضعف الوازع في المسلمين اليوم ولتحريفهم لحقيقتهم، ظهر ما ظهر فيهم من انحطاط الاخلاق الدينية وضعف تنافسهم في الصالحات (هايل عبد الحفيظ واخرون، 2008).

والوازع الديني هو اساس صلاح الفرد والمجتمع وهو الواقي من كل الشرور حيث اذا توفر عند الفرد يحول دونه ودون اتيان المحرمات اما اذا غاب عند الفرد سيطرت الشهوات على نفسه وغاص في بحر الهوى، عندها قد يخطئ في حق نفسه بالدرجة الاولى وفي حق والديه لاسيما اذا تقدما في السن، اين يفقد الجسم قوته ويضعف السمع والبصر وتتعب النفس نتيجة كفاح العمر الطويل حيث يجد الابوان انهما في امس الحاجة الى رعاية ابنائها الا ان بعض المسنين يتلقون الاهمال بشتى اشكاله، والاهمال اسلوب تعاملي غير سوي يؤدي الى سلب الاحساس بالأمن والاستقرار، وهنا يشير الدراز" الى ان على الامة وحدها يقع عبء حفظ النظام العام، والدفاع عن الحق المشترك، ومنع الظلم الظاهر، وعلى كل منا ان يراقب موقفه الباطني، وان يتحقق من توافقه مع روح الشريعة (دراز محمد عبد الله، 1998، 429).

ومن المعروف ان كبر السن ظاهرة طبيعية يمر بها كل فرد وهي المرحلة التي تعرف بالشيخوخة او مرحلة العمر النهائية الا انها تجلب للإنسان الكثير من التغيرات الجسمية والنفسية والعقلية والانفعالية والاجتماعية، الامر الذي يستدعي رعايته ومسايرته من قبل افراد الاسرة والتي تهدف الى اشباع الحاجات وتحقيق الرغبات وحل المشاكل والازمات التي تواجه المسن، ولا يخفى علينا ان رعاية المسن واجب اسري متفق عليه من قبل الجميع اما اذا نزلنا الى ارض الواقع متجهين الى كل بيت يقطن فيه مسن فإننا قد نكتشف ان معظم المسنين قد يعيشون اهمالا اسريا ما بعده اهمال، والافراد الذين يهملون اباءهم المسنين الذين لا حول ولا قوة لهم هم في الواقع ليس لهم ضمير حي، وتجردوا من انسانيتهم فلا رحمة في قلوبهم ولا خشية من عذاب الله لانهم لم يتعاملوا مع ابائهم الكبار بمبادئ العدل والاخلاص لوجه الله تعالى فكل هذه الصفات من علامات كمال الايمان وقمة التعبد وحسن الاخلاق والمعاملات الحسنة التي

تندرج تحت مفهوم الوازع الديني الذي يحوي العقيدة والعبادة والاخلاق وكل فنون التعامل الراقية من رعاية واحسان ورفق، واذا غابت هذه المبادئ عند الفرد نقول انه قد غاب لديه الوازع الديني الذي يكبح الشهوات وينهي النفس عن اتيان المحرمات ويبعد عن الاسرة والمجتمع مختلف الازمات ولعل ابرز تلك المشكلات الاسرية الناتجة عن غياب الوازع الديني هي التخلي عن الواجبات ولا احد يشك ان رعاية المسن واجب اسري مقدس ومستوحى من روح ديننا وقراننا وعاداتنا وتقاليدنا الاسلامية البحتة.

ومن هنا هدفت هذه الدراسة إلى توضيح الأهمية البالغة والدور الفعال للوازع الديني في بلورة وتشكيل اهم فنيات التعامل مع الاخر وهي رعاية المسن.

1-مفهوم الوازع الديني:

1-حسب علماء الشريعة هو توفر عقيدة سليمة والقيام بالعبادات على اكمل وجه والتحلي بالأخلاق الحميدة معاملة الناس بالحسنى (جار الله محمود بن عمر الزمخشري، 1995، 98).

2-هو الرادع والمانع، الداخلي للإنسان والذي يكبح شهواته ويضبط نفسه ويحكم عقله ويهذب سلوكه (مصطفى الزائدي، 1994، 103).

2-أهمية الوازع الديني:

لا احد يجهل مدى اهمية الوازع الديني في الحياة فهو الغاية من الوجود لان الله لم يخلق عباده في الدنيا الا بغرض التعبد، لقوله عز وجل "وما خلقت الجن والانس الا ليعبدوني" وهذا يعني انى الدنيا ما هي الا دار عمل ومجرد محطة ننتقل عبرها الى دار الجزاء الذي لا يكون الا من جنس العمل، لذلك اذا تحدثنا عن اهمية الوازع الديني فإننا لا نستطيع الحديث عن الدار الاخرة دون التطرق الى اهمية الوازع الديني في الحياة الدنيا، والتي من المنطقي ان تضمن سعادة الانسان في الاخرة، واذا تحدثنا عن اهمية الوازع الديني محاولين حصرها في عدة نقاط فإننا لا نكاد ننتهي لان الوازع الديني لا يشكل اهمية في حياة الفرد والمجتمع فحسب، بل انه اذا توفر عند الفرد فهو يعكس اهميته على مجتمعه كما يعمل الوازع الديني على تصنيف المجتمعات حيث نقول مجتمع غير متدين ومجتمع متدين اي بمعنى اخر الوازع الديني هو الذي يضع مجتمعا ما في خانة معينة من جدول المجتمعات (مصطفى الزائدي، 1994، 105).

ويمكن تلخيص اهمية الوازع الديني في النقاط التالية:

-هو دليل على كمال الايمان ونقاء السريرة.

-يحلي النفس والجسد والعقل من الشرور.

-يضمن للنفس سواءها وصفاءها وصحتها.

-يمنح الفرد قوة الشخصية والشجاعة بحيث لا يخشى احدا الا الله.

-دليل الصدق مع الله ومع الناس.

-يحفز الفرد على فعل الخير.

-ينهى النفس عن الهوى والوقوع في الزلات.

-ينفر النفوس من اتيان الفواحش والمنكرات.

-يدفع العبد الى الحرص على الطاعات ورضا السماوات والارض.

-يدني العبد من مولاه ويثبت الفؤاد ويطمئن النفس.

-به ينال المرء رضا الله ومحبته وحفظه.

-يؤدي بالإنسان الى السلوكيات البناءة.

-يشكل عنوان القوة والتماسك للمجتمع.

-يضمن استقرار الامة وتطورها.

-يحفظ للإنسان النعم.

-يميز شخصية المرء ويدرا عنه المصائب واصحاب السوء.

-يشع في النفس السكينة والاستقرار.

-يخلي القلوب من القساوة ويملاها طيبة.

-يحمي الاسرة والمجتمع من التفكك والانحلال (مصطفى الزائدي، 1994، 107).

3-آليات اكساب الوازع الديني:

في الأسرة:

اذا تحدثنا عن اليات اكساب الوازع الديني فإننا نتحدث دون شك عن وسائل التربية التي من المفروض ان يشرع الاباء في تطبيقها على ابنائهم وهم صغار، فمثلما تعلم الام اولادها نطق كلمة ماما وبابا اللذان انجباه وربياه يجب عليها ايضا ان تعلمه كلمة الله الذي خلقه وخلق والديه وخلق السماوات السبع والارض والكون باسره، لذلك عليها ان تعلم ابنها قول لا اله الا الله، ومن الطبيعي جدا ان الطفل البالغ من العمر سنة او سنة ونصف لا يقوى جهازه النطقي على قول لا اله الا الله بطريقة صحيحة لكن قلبه قد يشعر بالفطرة بعظمة الله الخالق والقادر عز وجل حتى ولو لم يفقه عقله ما يقول فان قلبه قد يبدا شيئا فشيئا يمتلئ حبا وخشية وتعظيما لله تعالى.

ولعل من اهم وسائل اكساب الوازع الديني بشكل عام هي رقابة الطفل في سنواته الاولى من العمر لمعرفة ما الذي يشغل بصره وسمعه وما الذي يفكر فيه وبما ينطق لسانه، هذه الرقابة تسهل على الوالدين تصحيح وضبط سلوكيات الابناء لكن اذا تركنا الست سنوات الاولى من عمر الطفل تمر دون ضبط او تحذير او عقاب او تلقين فان الوالدين يصعب عليهما استدراك ما فات من سنين مهمة جدا للاكتساب والتربية وتهذيب السلوكيات فيصبح الطفل الغير مراقب مستقلا بتفكيره وتصرفاته متشبثا بقناعته فارضا لوجوده معبرا عن كيانه بشتى الطرق مما يجعل السيطرة عله امرا صعبا للغاية سيما اذا تعلق الامر بطفل يتميز بالعند الشديد ويطغى عليه التمرد في سلوكياته، ونحن لا نعني على الاطلاق ان التربية يجب ان تكون في اطار خاص حيث يجالس الاب ابنه والام ابنتها ويبدآن في القاء المحاضرات عليهما، وانما المقصود من كل هذا هو اتقان فنون التعامل مع الابناء من خلال حرصهم على مراقبة وتوجيه ابنائهم توجيها واقعيا مرنا يهدف الى الحفاظ على شخصية الطفل وكرامته ويصب في مصلحته.

ومن طرق اكتساب الوازع الديني ايضا القدوة الحسنة وهي الوسيلة الامثل لان الطفل الصغير لم ينضج فكره بعد ولا يقوى على صنع سلوكيات منظمة لوحده انما لا بد له من نموذج يسير وفقه في طريقه الى تكوين شخصيته لذا من المهم جدا ان يكون الابوين المثل الحسن الذي يقتدي به الاطفال، وعموما يرجع سلوك الاطفال الى سلوكيات ابائهم غالبا مما يجعل الوالدين حريصين على تصرفاتهما امام الابناء كقول الصدق واتقان العمل والصفح عن الاساءة، مما يسهل ترسيخ هذه القيم النبيلة في نفوس الصغار كما على الوالدين تعليم ابناءهم الصبر وان يبدوا صبرهم امامهم اضافة الى تدريبهم وتأهيلهم ليكونوا شجعان اقوياء لقول النبي صلى الله عليه وسلم " المؤمن القوي احب الى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير ".

اضافة الى تعليم الاطفال من خلال العادة حيث يشير علماء التنمية البشرية ان العادة يمكن اكتسابها خلال واحد وعشرون يوما من التدريب والممارسة، وفي المقابل يمكن التخلي عن العادات السيئة خلال واحد وعشرون يوما ايضا، اي انه اذا ارادت الام اكساب طفلها عادات حسنة فان عليها ان تطلب منه ممارستها كل يوم كقيامه للصلاة مثلا وفي اليوم الواحد والعشرين تكون قد سجلت في ذهنه كعادة جديدة يمارسها دون ان يطلب منه ذلك اضافة الى مراقبة الطفل في ما اذا كان يؤدي هذه العادة ام لا، وعلى الام كذلك ان تقوم بنفس العملية للقضاء على العادة السيئة.

كذلك الموعظة مهمة كوسيلة لإكساب الوازع الديني، لأنها تعد من الطرق التي لا يجب على الاباء الاستغناء عنها فهم كثيرا ما يلجؤون الى القسوة والتعنيف والعقاب دون سبب واضح او خطا فاضح جاهلين ان الموعظة في القضاء على سلوك سيء تفوق قدرة العقاب سيما اذا كان هذا السلوك في بدايته كما تبرز اهمية الوعظ في توضيح مخاطر السلوكيات السيئة للطفل وتحفيزه على القيام بسلوكيات محمودة التي ترضي الله ثم الناس، كما لا ننسى دور العقوبة في تقويم سلوكيات الابناء والقضاء على السلوكيات السيئة المنافية للتعاليم الدينية حيث يتفق علماء الشريعة وعلماء التربية علماء النفس على ضرورة لجوء الاباء الى عقاب الابناء لكن في اضيق الحدود وكآخر حل لسلوك غير مقبول زادت شدته وتكرر عدة مرات، شرط ان يكون هذا العقاب مدروسا غير مبالغ فيه، اضافة الى ضرورة عدم تكرار نفس الاسلوب العقابي عدة مرات حتى لا يفقد فعاليته مع اعتياد الطفل عليه، بل الواجب على الوالدين التنويع في اساليب العقاب حتى اذا اخطأ الطفل يقف موقف المترقب لأسلوب العقاب، لا موقف الشجاع الذي يعرف عقابه جيدا فلا يشعر بقسوته وشدته وطبعا لا يؤثر في سلوكه بل قد يزيده تمردا ثم ان على الوالدين ان يعيا جيدا ان لكل خطا عقابه الخاص، فمن سب امه لا يعاقب مثل الذي اهمل تنظيم غرفته وكذلك تختلف انواع العقاب حسب الفروق الفردية فمن يتأثر بالضرب ربما لا يؤثر فيه اسلوبا اخر وهناك من يتأثر بالحرمان اكثر من تأثره بأسلوب عقابي اخر، ولقد اثبتت بعض الدراسات الحديثة جدوى اختيار الطفل لعقابه المناسب اي على احد الوالدين ان يعرض على الطفل مجموعة من العقوبات بعد ارتكابه لخطا معين ويضع له مجال الاختيار، هذه الطريقة ترمي الى منح الحرية للأطفال من جهة، وتحملهم مسؤولية افعالهم من جهة اخرى، كما ان الطفل حينما يختار عقابه بنفسه لا يشعر بالظلم والسيطرة من قبل والديه بل انه بفضل هذه الطريقة يمكنه الوعي بان وراء كل خطا عظيم عقاب عظيم وان كان سيعاقب لا محال فعلية ان يختار عقابه بنفسه.

وعليه يمكن القول ان العقاب هو اخر دواء ومن المفروض ان يلجا المربون الى استخدامه غالبا في مخالفة الطفل للتعاليم الدينية كشتم الطفل لامه مثلا والتطاول في الحديث مع الكبار والتقاعس في اداء الصلاة.

تعد المصاحبة ايضا وسيلة هامة من وسائل اكساب الوازع الديني حيث لا يمكن للاب ان يقوي ايمان ابنه ويكسبه القيم الاخلاقية وهو بعيد عنه، روحيا وجسديا فلقد اوضحنا سابقا ان الاب هو قدوة لابنه فاذا كان الاب غائبا بروحه وجسده بمن سيقتدي الابن؟ اما اذا كان الاب متواجد في المنزل امرا ناهيا قاسيا مع ابنه فكيف له ان يتعلم منه حتى ان تعلم على السلوكيات فانه بمجرد غياب الاب يتركهما مثل

اداء الصلوات والقيام ببعض الواجبات، لكن اذا صاحب الاب ابنه واخذ بيده الى المسجد فمن المنطقي جدا ان يستجيب له وان يقتنع بكلامه ويقتدي بتصرفاته ويتعلم منه الدين والعلم ومختلف متطلبات الحياة.

اضافة الى الرفق مع الاطفال في تربيتهم وتهذيبهم لقول الرسول صلى الله عليه وسلم " ما كان الرفق في شيء الا زانه " خصوصا اذا تعلق الامر بتعليم القواعد الدينية فلا يصح على الاطلاق للمربين ان يعنفوا اولادهم بل الواجب عليهم التحلي بالصبر وسعة الصدر والرحمة واللين والمسايرة وجميعنا يعلم ان العنف سلوك غير صالح ونلاحظ ان العنف غير مجدي حتى مع الاشياء التي اذا مسكناها بعنف لا تطاوعنا فما بالنا اذا تعلق الامر بتعليم بني البشر قواعد واصول الدين الاسلامي فقد نجد انفسنا مضطرين الى الرفق في ذلك مثلما كان رسولنا الكريم عليه افضل الصلاة والسلام فقد كان ينهي عن اساليب التعنيف بين الكبار انفسهم فما بالنا بالصغار الذين لا يفقهون شيئا ولو كان الاب يشعر انه مجبر في اللجوء الى العنف مع ابنائه فلا بد ان يعي ات تعليم الاصول الدينية يأتي بالرفق لا بالإكراه لقول الله تعالى " لا اكراه في الدين " ، لان الدين قد يقتنع به العقل والقلب معا لذا يجب الولوج دائما اثناء الحديث مع الطفل من باب محبة الله تعالى ولطفه ورحمته وكرمه قبل التحذير من عقابه وغضبه هذا ما يسمى بمخاطبة العقل من خلال القلب وحتى تصل الرسالة بوضوح وتترسخ كقناعة ثابتة عند الطفل ويؤكدها عمله على مر الزمن، وليعلم جميع المربين انه لا مجال للعنف في تعليم دين الرفق.

ويعتبر التدرج ايضا مطلوب في عملية التربية والتعليم لكن الكثيرين يجهلون اهميته في اكساب سلوك محمود او استئصال سلوك مذموم فاذا لم يعتمد الاباء على التدرج في تعليم ابنائهم القواعد الدينية فلا شك ان الكثير من الاطفال قد يرسمون في اذهانهم صورة سيئة عن الدين مما يجعلهم يفتقرون الى الالتزام والاحتشام والانضباط، وقد حث النبي صلى الله عليه وسلم الاباء على تعليم اولادهم الصلاة منذ سن السابعة ليعقبوا على تركها وعدم الحفاظ عليها في سن العاشرة، اي ان تلك السنين الثلاث (من 7 الى 10 سنوات) هي سنوات الوعظ والارشاد والترغيب في الصلاة تبيين الهدف من ادائها، والله عز وجل حرم شرب الخمر بالتدريج حيث حرم في البداية في اوقات الصلاة فقط ثم جاء تحريمه قطعا، لذا على المربي التدرج و الصبر في تلقين التعاليم الدينية والقضاء على السلوكيات المنحرفة والعادات الغير سوية.

في المدرسة:

تعمل المدرسة من خلال ما تعرضه من دروس عبر مادة التربية الاسلامية التي من المفروض ان تكون مكثفة وعملية اكثر منها نظرية الا ان معظم المدارس لا يهمها في التربية الدينية شيء بل انها تهمل الاطفال ولا تسعى الى ضبط سلوكياتهم بالطرق المثلى لذلك.

في وسائل الاعلام:

من المعروف ان وسائل الاعلام تسعى الى نشر المعلومات سلبية كانت ام ايجابية اذا ينبغي على الاباء الانتقاء الجيد لوسائل الاعلام الخاصة بالأطفال مثل الجرائد والمجلات والقنوات الفضائية التي تشكل جزءا كبيرا وهاما من حياة الطفل حيث تؤثر على افكاره سلوكياته واهتماماته وانطباعاته وميوله لكن الكثير من الاباء يدعون انهم يربون ابنائهم تربية صالحة جاهلين ان التربية لا تكون سليمة من دون رقابة والتي تعد اهم وسائل التربية حيث يجب ان يراقب الاباء ابنائهم في كل الاحوال لا سيما اوقات مشاهدة التلفاز حيث يلاحظون ما هي القنوات التي يميل اليها الطفل وما هي برامجه المفضلة حتى وان كان الطفل يشاهد قنوات ملتزمة تقوي وازعه الديني وتغنيه عن برامج والعاب العنف، مهما كانت هذه البرامج مفيدة على الوالدين تحديد وقت لمشاهدة التلفاز حتى لا يقضي الطفل طول نهاره امام شاشة التلفاز والتي تسمح بعزله عن افراد اسرته، وقد يعمد بعض الاباء الى وضع ابنائهم في غرفة مغلقة امام شاشة يفضلها الطفل حتى لا يخرج الى الشارع ليختلط برفاق السوء الذين من شانهم تضييع مبادئه وتربيته الدينية، لكن في نفس الوقت نجد الطفل المولع بقناة معينة قد لا يستطيع مغادرتها ولو لتناول غدائه وعشاءه ونومه، ناهيك عن اهماله دروسه وتأخره لأداء الصلوات نتيجة اعجابه الشديد وانبهاره البالغ بتلك القناة بهذه الطريقة يجد الاباء انهم توصلوا الى نفس النتيجة التي اتقوها سابقا وهي ضياع المبادئ والتربية الدينية لابنهم، لكن المفروض هو ترك الطفل يشاهد ما يثبت دينه ويزيد وعيه ويقوم سلوكه بشرط الاعتدال وعدم المبالغة حتى لا يكون الانتفاع والتسلية على حساب ترك الدراسة والواجبات الاخرى.

تلك هي أبرز الاليات والوسائل التي تعين الاباء على اكساب ابنائهم وازعا دينيا والذي يوفر عليهم البحث عن رادع خارجي متمثل في التهديد والترهيب (حمدي حسن رفيق، 2000، 85- 87).

4-فن التعامل:

مما يجب على المسلم أن يتعلمه في أمور أخلاقه : أصول التعامل مع الناس فلا يتعامل ويتصرف المسلم مع غيره كما يريد وكما يشتهي أو كما يُمليه له عقلهُ وهواه ، بل يجب عليه أن يتعامل معهم وفق

الأحكام الشرعية التي جاءت في كتاب الله تعالى وفي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما بينه وفهمه أهل العلم من السلف الصالح، إنّ التعامل مع الناس يحتاج إلى علم شرعي بأصول هذا التعامل والذي لا يتعلم هذه الأصول يقع في مخالفةِ أمر الله تعالى وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم، فالتواصل الحسن والأسلوب الجيد والرعاية والاهتمام والاحسان من أهم فنون التعامل مع الناس ولكن لا يتقنها الكثيرون رغم أهميتها في حياة كل إنسان وفي المجتمع بشكل عام، وقد اعتنى الإسلام بهذا الجانب لاسيّما أنه من أهم مقوّمات الدعوة إلى الله التي يلزم فيها الحكمة.

أصول التعامل مع الوالدين :

قال تعالى (ووصينا الإنسان بوالديه) وقال تعالى (وبالوالدين إحسانا) ومن الأصول الشرعية في التعامل معهما:

* أن تبرَّهما وذلك بالإحسان إليهما قولاً وفعلاً بالمال والبدن

* ومن الأصول: امتثال أمرهما في غير معصية لله وفي غير ما فيه ضررٌ عليك.

* ومن التعامل معهما: بسط الوجه لهما والقيام بخدمتهما على الوجه اللائق بهما وعدم التضجر من ذلك وخاصة عند الكبر والمرض والضعف.

*ومن أصول التعامل مع الوالدين : فلا تقلْ لهما أفٍ ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريما ، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا.

*ومن أصول التعامل مع الوالدين : عدم تسميتهما باسمهما وعدم المشي أمامهما والجلوس قبلهما، قال أبو هريرة لرجلٍ معه أبوه (لا تُسِّمه باسمه ولا تمشِ أمامه ولا تجلس قبله) صحح إسناده الألباني في صحيح الأدب المفرد (32)

- أصول التعامل مع الأرحام والأقارب:

والرَّحمُ يطلق على الأقارب وهم مَنْ بينه وبين الآخر نسب سواء كان يرثه أم لا، ومن أصول التعامل معهم إعطاؤهم حقوقهم، قال تعالى (وآتِ ذا القربى حقه) فيجب على كل قريب أن يصل قريبه بالمعروف ببذل الجاه والنفع البدني والنفع المالي. ومن أصول التعامل معهم إنذارهم وتعليمُهم أمور الدين، قال تعالى (وأنذر عشيرتك الأقربين) ومن أصول التعامل مع الأرحام ايضا أن يصلهم ولو قطعوه وأن يصِلهم ولو كانوا من الظالمين والمشركين.

-أصول التعامل مع الأولاد :

التربية وهي تنمية الدين والأخلاق في نفوسهم، فهم أمانة في عنق الوالدين، ومن أصول التعامل معهم الإنفاق عليهم بالمعروف من غير إسراف ولا تقصير، العدلُ بينهم في العطايا والهبات وعدمُ تفضيل أحدٍ منهم على أحد، وحمايتهم من الأعداء والمنكرات وأصدقاء السوء.

فلابد للمسلم أن يتعلم أصول التعامل مع نبيه صلى الله عليه وسلم ، ومع نفسه ووالديه، ولابد أن يتعلم أصول التعامل مع زوجته وأولاده وأرحامه، ولابد أن يتعلم أصول التعامل مع ولاة الأمر من المسلمين، كذلك لابد أن يتعلم أصول التعامل مع الفاسقين وأهل البدع وغير المسلمين. **http://ibrahimalmazroui.blogspot.com**

ويتحتَّم علينا التواصل والتعامل والتعايش مع الآخرين من الناس، لأن الإنسان لا يستطيع أن يحقِّق هذا الاستخلاف بنفسه دون تعاونه مع بني جنسه، فلزِم عليه أن يتواصل ليتعاون، ويتعرّف على كيفية التعامل مع الناس ليتم التعاون الأقوى المبني على محبَّة وحسن خلقٍ، ولقد أرشدنا الإسلام إلى اختيار أفضل الطرق والأساليب الحسنة التي تربط القلوب المتواصلة بالمحبة وحبّ التعاون، فقد أوصانا بالوالدين والأقارب والجيران والمساكين والفقراء وابن السبيل والمسلمين بشكل عام، ودلَّنا الإسلام على كثير من الأمور التي تزيد المحبة فيما بين الناس ومثال ذلك قوله صلى الله عليه وسلم "أوَلَا أدُلّكم على شيءٍ إذا فعلتموه تحابَبتم؟ أفشُوا السلام بينكم"(رواه مسلم في صحيحه: 54).

فبالمعاملة الحسنة تُكتَسب خيرية الاتباع للنبي صلى الله عليه وسلم لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان خير الناس في معاملته وأحسنهم قضاءً وأداءً ووفاءً و وداداً، والمعاملة الحسنة دليل كمال الإيمان وذلك بقوله صلى الله عليه وسلم "إنَّ من أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنُهم خُلُقًا"(رواه الترمذي في سننه: 2612)، والمعاملة الحسنة دليل على حسن الخلق ومن أسباب دخول الجنة لأن المعاملة الحسنة تكسب رضى الله سبحانه وتعالى ومحبته واتباع رسوله وهذا دليلٌ على قبول الله للعبد، ففي حديث عبد الله بن سلام أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال "يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِسَلَامٍ (رواه الترمذي وقال حديث صحيح: 2485). **-https://www.arabicdawateislami.net/blog/275**

فما أجمل أن يجيد المسلم التعامل مع الناس بالأسلوب الحسن والجميل، فيحظى بمحبة الله ومحبة عباده، فقد عرفنا أهمية ذلك وفضله، فنسأل الله تعالى أن يجعلنا ممن يتميّزون بحسن معاملتهم وأخلاقهم ويجعلنا قرة عين لرسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه اجمعين.

5-مفهوم المسن:

لغة: حسب " ابن منظور" في معجمه لسان العرب يعرف المسن بانه الرجل الكبير، وتعود كلمة مسن في اللغة الى فعل اسن، يسن اي كبر وطعن في السن، ويقول العرب: فلان اسن من فلان اي اكبر منه سنا (ابن منظور جمال الدين محمد، 1412هـ، 299).

اصطلاحا: كل ذكر او انثى بلغ الستين او اكثر والذي قد اعجزته الشيخوخة عن القيام بشؤون نفسه مما يجعله في حاجة الى رعاية اسرية (ابراهيم جوير، 2005، 117).

6-خصائص المسن:

هناك العديد من الخصائص التي تميز المسنين وهي النفسية والاجتماعية والانفعالية والعقلية، وهذا لا يعني ان جميع هذه الخصائص تنطبق على جميع المسننين الا ان هناك بعض الفوارق الفردية التي يمكن ملاحظتها.

الخصائص النفسية والاجتماعية:

قد يشعر المسن بالعزلة والاغتراب وهي حالة نفسية يشعر فيها الفرد بان هناك حاجز نفسي يفصله عن الاخر، وتشير نظرية "بدائل الفاعلية" ان المسن عندما يفقد حيويته وقدراته الطبيعية فانه يجب عليه التكيف مع محيطه الاجتماعي والتعاون معه وذلك بتقديم النصح والتوجيهات لمن اصغر منه سنا، كما يحي المسن بالفخر بالماضي وانجازاته والتحسر عليها فكل جيل يأتي يظن انه افضل من الجيل الذي يليه ويظن ان هناك خطر على القيم والمثل والاخلاق من الجيل اللاحق ومن المعروف ان كبير السن يعمد دائما على ذكر فضائل الماضي ومحاسنه، كما يتحدث الكثير من الشيوخ عن مللهم وسامهم من الحياة هذا ان لم يكن في الحياة هدف وان لم يكن هناك تغير وتجديد، وعادة ما يشعر المسن بالعبء على الاخرين عندما لا يستطيع القيام بشؤونه يبدا احساسه يتزايد بانه اصبح عبئا على الاخرين ولو كانوا اقرب الاقربين اليه، وهنا يزداد تعلقه وولعه بأبنائه لان الانسان في مراحل حياته دائما يحب ابنائه ويود اللقاء بجميعهم، ولكن كلما زاد التقدم في العمر زاد تعلقه بهم ويبدوا ان هناك علاقة طردية بين درجة التعلق بالأبناء والتقدم في العمر.

الخصائص الانفعالية:

ضعف القدرة على التكيف، النزعة للسيطرة، الحساسية الانفعالية الزائدة والتي تظهر في البكاء بكثرة ولأتفه الاسباب، سرعة الانتشار، تقلبات المزاج، الميل للحزن والاكتئاب، الملل والياس لاسيما في مرحلة الهرم اضافة الى الاحساس بالألم والعاهة على الاخرين، السلبية التامة، التمركز الشديد حول الذات.

الخصائص العقلية:

اظهرت الدراسات انحدار في مستوى الذكاء، ضعف المقدرة على التحول من نوع الادراك او معالجة معلومات معينة الى نوع اخر من المعلومات، التغير الحاصل في الذاكرة يستمر بنفس النسق الذي بدا به في مرحلة الكهولة اما الذاكرة القصيرة فتبدا بالضعف والقصور شيئا فشيئا، تشتت الانتباه وقلة التركيز نظرا لتلف وضعف الخلايا العصبية المسؤولة عن ذلك.

7- مفهوم رعاية المسن:

ان الاساليب السوية للتعامل مع شريحة المسنين كثيرة ومتنوعة وعلى راسها الرعاية التي تعتبر نمطا وفنا للتعامل السوي الذي يضم بداخله مجموعة من الاساليب السوية الاخرى، ومن المعروف ان فترة الشيخوخة من اكثر الفترات التي يحتاج فيها الرعاية خاصة وذلك لأنها تتميز بالتعب والضعف مقارنة بالمراحل العمرية السابقة حيث نجد الابوين المسنين عاجزين عن اداء معظم وظائف الحياة اليومية مما يجعلهم في حاجة الى رعاية اسرية شاملة، من شانها التخفيف من بعض اعباء الحياة وكذا اشعارهم بالراحة والاستقرار.

-هي تلبية الحاجات المعيشية والاجتماعية والصحية والنفسية بهدف استقرار المسن والدمج الاجتماعي له (يوسف مفتاح، 2003، 63).

-الرعاية الاسرية للمسن هي القيام على شؤون المسن داخل المنزل، رعاية المسن في الاسلام هي منح الحقوق الشاملة بمقتضى حاجاته والتي من بينها الحاجة الى الرعاية ويؤكد جميع الفقهاء على الرعاية الاسرية هي الاولى (احمد علي الجمل، 2008، 201- 205).

-تقوم رعاية المسن في المجتمع العربي والاسلامي على عدة اسس وهي: الانسان مخلوق مكرم ومكانته محترمة، المجتمع المسلم مجتمع متعاطف متكافل متعاون، توقير الكبير وتشبث به سمة من سمات المسلم الحق، وجوب تقديم رعاية للمسن (سليم عبد الفتاح، 2001، 123).

-لا شك ان الرعاية الصحية والجسدية جزء لا يتجزأ من الرعاية النفسية فاذا حضي المسن بغذاء جيد ونوم هنيء وفحوصات طبية من حين لآخر وعلاج منتظم فمن المؤكد انه سينعم بالراحة والاستقرار والاطمئنان اضافة الى توفير سبل الرعاية النفسية المتمثلة في الكلام اللين مع المسن باعتباره شخص حساس يميل الى العطف من قبل المحاطين به ومن بين مظاهر العطف الكلام اللبق اللين والخطاب الرقيق، كما يجب اشعاره بالمكانة داخل الاسرة بمجالسته ومحاورته ومشاورته واشعاره بقيمته وقدره، والترويح عنه لان تقلص النشاطات والوظائف المختلفة يجلب للمسن الملل والاكتئاب اضافة الى زواج كل الابناء وبقائه وحيدا مما يستدعي زيارته بين الحين والاخر وكذا اخذه في جولات ترفيهية الى مختلف الاماكن المريحة للنفس او اخذه لحضور المناسبات السارة عند الاقارب والاصحاب، وعلينا تحقيق امنيات المسن فقد تجول في خاطره عدة امنيات وربما قد تعيقه قدراته الجسمية والنفسية في تحقيقها، لذا على الابناء العمل على تحقيقها كان تكون انجاز مشروع معين طمح اليه المسن ولم يحققه او اخذه الى البيت الحرام مثلا حتى تتحقق الرعاية النفسية بمعناها المتكامل ولكي يضمنن الابناء رضى والديهم عنهم (سناء الضبع، 2004، 214).

8-دورالوازع الديني في بلورة مفهوم الرعاية كفن من فنون التعامل مع المسن:

لقد ناد الاسلام الحنيف بمختلف انواع التكافل حيث دع الى كفالة القادر لغير القادر سوآءا اذا كانت القدرة مادية او جسمية او اجتماعية او نفسية، وما اعظم ان يتكفل الابناء بآبائهم عند الكبر كما سبق ان تكفل الاباء بأبنائهم في الصغر وما اروع ان يكون نبع الحنان تيار جاري متبادل بين اباء وابناء وهكذا يتجسد معنى التكافل الاجتماعي كما جاء به الدين الاسلامي، عندها يشعر المسن ان سنوات عمره لو طالت لن تشكل لع عبئا، فكما بذل جهودا جبارة من اجل رعاية الابناء وتربيتهم ها هو الان ينال الاحترام والرعاية في الكبر، ولقد اهتم ديننا الحنيف برعاية المسن فامر برعايته واحترامه وتقديره حيث يقول سبحانه وتعالى " وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل ربي ارحمهما كما ربياني صغيرا " صدق الله العظيم.

ولذلك كان المسنون في المجتمع الاسلامي يحضون بالوان شتى من فنون الرعاية والعناية وكان لكل قبيلة شيوخ من كبار السن تنفذ اوامرهم ويؤخذ بنصائحهم ويعمل برايهم في مجالات الحياة الداخلية والتعليمية والاجتماعية، وكان في العهد القديم التفات الاسرة الى المسن وتحقيق حاجاته امرا ضروريا كما

كان كبار السن يحتلون مكانا رفيعا على مستوى الاسرة والمجتمع وكان على افراد الاسرة القادرين على العمل ان يقدموا جهدهم وحصيلة عملهم لأفراد الاسرة الاخرين، ومن بين حقوقهم على الاسرة في ذلك العهد الاحترام والاعتبار الكبير بين افراد الاسرة والامان والضمان الاقتصادي حيث لا يواجه حاجة مادية فالكل ملزمون بالعمل والعطاء من اجل كبار السن النساء والاطفال، كما يجب على الابناء والاحفاد والذكور وزوجاتهم وبناتهم تقديم سبل الرعاية والخدمة التي يحتاج اليها المسن، اذا حرم من رعاية او كفالة شريك حياته او حرم من اقرب المقربين اليه.

واذا نشا الفرد منذ صغره مستهترا بالدين بعيدا عن القيم متمردا غير مطيع لوالديه فمن المحتمل جدا ان يزداد هذا العصيان والعقوق كلما كبر الابن، فبعد ان كان طفلا صغيرا يصرخ في وجه والديه فقد صار الان شابا فتيا قد يصل به بعده عن ربه وتخليه عن تعاليم دينه الى شتمهما والتقليل من شانهما واستصغارهما وحتى ضربهما في بعض الحالات بحكم قوته العضلية التي يقابلها ضعف جسد الاب والام المسنين، اما اذا تحدثنا عن الفتاة التي ربما هي اقرب للام من اخيها الذكر ان لم تهذب وتعلم منذ صباها من قبل والديها خصوصا ما تعلق ببر الوالدين وحقهما على الابناء فقد تنشا عدوة لامها وابيها، تقول عكس ما يقولان وتصرخ مما يفعلان ناهيك اذا تقدما في السن، حيث يصبحان في امس الحاجة الى عطفها وبرها وولائها، عندها قد يفاجئان ان هذه البنت لم تجهز او لم تهيا لرد الجميل لوالديها ولو جزء بسيط منه، وحسب علماء النفس والاجتماع فان اهمال المسن هو وجه من اوجه سوء التعامل وجزء لا يتجزأ من العنف (احمد شحرور، 2000، 88).

ومن المعروف ان المعنى الحقيقي للبر يظهر في مرحلة الشيخوخة لان الوالدين فيما سبق كان ابائهم يمكنانهم من الاعتماد على نفسيهما في كل شيء واما الان فقد طعنا في السن ولا احد ينكر ان دورهما يبدا بالتقلص شيئا فشيئا، ليتركوا جزءا منه لأبنائهم اللذين ضحوا من اجلهم خير تضحية حيث تعبوا لراحتهم وسهروا لنومهم وجاعوا لإشباعهم فاذا هم كبروا وجدوهم اول مهمل لهم، ولا يخفى على احد ان المسن المهمل له معاش نفسي لا احد يمكنه تصوره ولا الاحساس به، فالمسن المهمل كل ما فعله هو انه رعى اولاده خير رعاية وسعى جاهدا الى تحقيق رغباتهم ووفر لهم كل شيء لكنه لا يعلم ما سبب اهمال اولاده له؟ الا انه اذا اعاد شريط حياته الى الوراء قليلا فانه قد يجد ان تربيته لهم كانت جيدة لكنها افتقرت الى غرس الوازع الديني وخصوصا التركيز مع الاطفال على ضرورة بر الوالدين وقد يعد هذا من ابرز اسباب الاهمال، فضرورة اكساب الوازع الديني منذ السنوات الاولى من العمر لا يحرص عليها الكثير من الاباء والشخص الذي يفتقر الى الادب ويتميز بإيمان غير ثابت قد يخطا في حق نفسه وقد يصل به

الامر الى ان يخطا في حق والديه دون الشعور بالخطأ، لكن كل هذا لا يعد مبررا على الاطلاق لتصرفات الابناء السيئة اتجاه ابائهم فهم بإهمالهم لهم يقولون بصيغة غير مباشرة لآبائهم " انتم عبئ علينا، مللنا من خدمتكم، لا فائدة منكم الان، لا تعنون لنا شيئا ...".

ويبقى هذا الامر طبيعي اذا غاب لدى الانسان الوازع الديني، الذي يحكم عقله ويرقق قلبه ويدفع به الى العطاء قبل الاخذ فالإنسان الذي يفضل الاخذ يعد من اهل الدنيا، بينما الذي يسارع الى البذل والعطاء من اهل الاخرة، وفي الحقيقة ما يشهده واقع المسنين من الام يعجز عن وصفها اللسان ولا نستطيع التعبير عنها بانها ظاهرة بل كارثة متفشية في مجتمعاتنا والادهى والامر اننا نعيش في مجتمع مسلم يحث قرانه وسنته على بر الوالدين ويبين بقوة جزاء من عقهما، والملاحظة ان دور المسنين يزداد عددها، فاين بر الوالدين واين عقاب ذويهم عديمي الاخلاق والاحساس الذي وصل بهم الى حد التخلص منهم ونسيانهم مدى الحياة (يوسف محمد الحسن، 1999، 153).

فقد اعطى المسن اسرته وبلده دون حدود والان تقلص دوره الى حد ما ليبرز دور الابناء والاحفاد بالرعاية ومحاولة رد الجميل ولو بالشيء القليل كما امرنا الله عز وجل ورسوله الكريم صلى الله عليه وسلم، واذا تلقى كل مسن الرعاية الاسرية الشاملة فانه يعيش حياة امنة ملئها الدفء والاستقرار ضمن اسرة سوية ومتماسكة (محمد رامز عبد الفخار، 2002، 125).

ويبقى الوازع الديني هو مراقبة الله في السر والعلانية وعلى كل فرد ان يتحلى به حماية لنفسه واهله ومجتمعه، كما ان اهميته العظيمة تجلب النفع للأفراد والمجتمعات في الدنيا والاخرة مثل رضا الله وتوفيقه وفتحه ونصره.

المراجع:

- القران الكريم.
- ابن منظور جمال الدين محمد (1412ه): **لسان العرب**، الطبعة الاولى، دار الفكر العربي، بيروت، ج5.
- احمد شحرور (2000): **مجلة العنف ضد المسن**، الطبعة الاولى، دار الكتاب للنشر والتوزيع.
- احمد علي الجمل (2008): **رعاية المسنين**، الطبعة الثانية، دار المعارف للنشر والتوزيع.
- ابراهيم جوير (2005): **المسن والتغيرات الاجتماعية**، الطبعة الثانية، دار عمان للنشر والتوزيع.
- جار الله محمود بن عمر الزمخشري (1995): **اسس البلاغة**، الطبعة الاولى، دار الفتح للنشر والتوزيع.
- حمدي حسن رفيق (2000): **كيف نربي اولادنا تربية صالحة**، الطبعة الثانية، دار النهضة للنشر والتوزيع.
- دراز محمد عبد الله (1998): **دستور الاخلاق في القران**، تعريب وتحقيق عبد الصبور شاهين، ط 10، مؤسسة الرسالة، بيروت.

- سليم عبد الفتاح (2001): **الرعاية الاجتماعية للمسن**، الطبعة الاولى، دار القاهرة للنشر والتوزيع.
- سناء الضبع (2004): **سيكولوجية المسن**، الطبعة الاولى، دار الكتاب للنشر والتوزيع.
- عبد السلام جابر(2000):
- محمد رامز عبد الفخار (2002): **حقوق المسن في الاسلام**، الطبعة الاولى، دار الكتاب للنشر والتوزيع.
- مصطفى الزائدي (1994): **غاية الوجود**، الطبعة الثانية، دار صادر للنشر والتوزيع.
- هايل عبد الحفيظ داود، وسلغريوفا برلنت (2008): **الوازع مفهومه ومكانته واثره في تحقيق نفوذ الشريعة**، الجامعة الاردنية، علوم الشريعة والقانون، المجلد 35، العدد 2.
- يوسف مفتاح (2003): **المعاش النفسي للمسن في دور الرعاية**، الطبعة الاولى، دار الفكر العربي للنشر والتوزيع.
- يوسف محمد الحسن (1999): **الوجيز في التربية**، الطبعة الاولى، دار القاهرة للنشر والتوزيع.

https://www.arabicdawateislami.net/blog/275 -

rahimalmazroui.blogspot.com/2016/09/blog-post_25.htm-